

قال عليه السلام: «الذي به تنزل الملائكة في الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم من: خلق، ورزق، وأجل، وعمل، وعمر، وحياة وموت، وعلم غيب السماوات والأرض، والمعجزات التي لا تنبغي إلا لله وأصفياه والسفرة بينه وبين خلقه، وهم وجه الله الذي قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُهُ﴾ (١) هم بقرته الله يعني المهدي يأتي عند انقضاء هذه النظرة، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ومن آياته: الغيبة والإكتام عند عموم الطغيان وحلول الإنتقام، ولو كان هذا الأمر الذي عرفتك بأنه للنبى دون غيره، لكان الخطاب يدل على فعل ماض، غير دائم ولا مستقبل، ولقال: «نزلت الملائكة» و«فرق كل أمر حكيم» ولم يقل: «تنزل الملائكة» و«يوفرق فيها كل أمر حكيم» وقد زاد جل ذكره في التبيان وإثبات الحجّة بقوله - في أصفياه وأوليائه عليه السلام -: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ تعريفاً للخليقة قريهم، ألا ترى أنك تقول: «فلان إلى جنب فلان» إذا أردت أن تصف قريه منه؟

وإنما جعل الله تبارك وتعالى في كتابه هذه الرموز التي لا يعلمها غيره وغير أنبيائه وحججه في أرضه، لعلمه بما يحدثه في كتابه المبدلون من إسقاط أسماء حججه منه، وتلييسهم ذلك على الأمة ليعينوهم على باطلهم، فأثبت به الرموز، وأعمى قلوبهم وأبصارهم، لما عليهم في تركها وترك غيرها، من الخطاب الدال على ما أحدثه فيه، وجعل أهل الكتاب المقيمين به، والعاملين بظاهره وباطنه من: شجرة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (٢)؛ أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت، وجعل أعدائها: أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم، فأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بينت لك تأويلها، لأسقطوها مع ما أسقطوا منه، ولكن الله تبارك اسمه ماض حكمه بإيجاب الحجّة على خلقه، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (٣) أغشى أبصارهم، وجعل على قلوبهم أكنة عن تأمل ذلك، فتركوه بحاله، وحججوا عن تأكيد الملتبس بإبطاله؛ فالسعداء ينهبون عليه، والأشقياء يعمون عنه، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

ثم إن الله جل ذكره لسعة رحمته، ورأفته بخلق، وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه،

(١) البقرة ١١٥.

(٢) إبراهيم ٢٤-٢٥.

(٣) الأنعام ١٤٩.